

أعضاء البيان

@ 315 @ .

ولذا كان قول نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { وَلَا يَلِدُوا إِلَّا لَاسَّ فَاجِرًا كَفَّارًا } ، كان بدليل الاستقرار من قومه ، والعلم عند الله تعالى . . .
وقوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } ، لم يبين هنا هل استجيب له أم لا ؟ وبينه في مواضع أخر منها قوله : { وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ } . . .
وفي هذه السورة نفسها وقبل هذه الآية مباشرة قوله تعالى : { مِّمَّنْ خَطِئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } فجمع الله لهم أقصى العقوبتين الإغراق والإحراق ، مقابل أعظم الذنوب الضلال والإضلال . . .

وكذلك بين تعالى كيفية إهلاك قومه ونجاته هو وأهله ومن معه في قوله : { فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ نَمْلِكُ مِغْلُوبًا فَانْتَصِرَ } فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ رِضًا عِيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَا ذَاتَ الْأَوَاحِ وَدُسُرِ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا } . . .

قال ابن كثير : لقد أغرق الله كل من على وجه الأرض من الكفار ، حتى ولد نوح من صلبه . وهنا تنبيه على قضية ولد نوح في قوله { يَا بُنَيَّ إِنَّكَ كَاذِبٌ كَبِيرٌ } إلى قوله { فَكَانَ مِنَ الْمُمِغْرَقِينَ } لما أخذت نوحاً العاطفة على ولده قال : { رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي } إلى قوله : { إِنَّ زَنَّهُ لَسِيْءٌ مِنْ أَهْلِكَ } أشار بعض الناس تساؤلاً حول ذلك في قراءة { إِنَّ زَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ } ، إنه عمل ماضي يعمل أي يكفره . . .

وتساءلوا حول صحة نسبه ، والحق أن الله تعالى قد عصم نساء الأنبياء إكراماً لهم ، وأنه ابنه حقاً ، لأنه لما قال { إِنْ سَأَلْتَنِى مِّنْ أَهْلِىَّ } تضمن هذا القول أمرين نسبته إليه في بنوته . .

ثانياً : نسبته إليه في أهله ، فكان الجواب عليه من أن بنفي النسبة الثانية لا الأولى ، إنه ليس من أهلك . ولم يقل : إنه ليس ابنك ، والأهل أعم من الابن ، ومعلوم أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ، والعكس بالعكس ، فلما نفى نسبته إلى أهله علمنا أن نسبته إليه بالبنوة باقية ، ولو لم يكن ابنه لصلبه لكان النفي ينصب عليها . .

ويقال : إنه ليس ابنك ، وإذا نفى عنه البنوة انتفت عنه نسبته إلى أهله ، وكذلك قوله